العالم المصرى الدكتور اسماعيل السباعى

السرطان : ليس المرض «المستحيل» فالعلاج ممكن ..

بالرغم من التقدم العلمى والتكنولوجى المثير الذى شهده العالم خلال الربع قرن الأخير فى مختلف مجالات الحياة وفروع العلم المختلفة وبالرغم من أن هذا التقدم أصبح يمثل قوة الدفع الأساسية لإحداث هذا التقدم ، بالرغم من كل ذلك فإن مقاومة أخطر الأمراض التى عرفها الإنسان وهو السرطان ، لا يعتمد كثيرا على هذا التقدم التكنولوجى المثير ..

حاتم نصر فريد

هذه الحقيقة تجلت فى مؤتمر دول البحر المتوسط للسرطان الذى عقد بالقاهرة فى الأسبوع الماضى وحضره ١٣٠ عالما من مختلف دول البحر المتوسط وهى : أيطاليا واليونان ويوغوسلافيا وفرنسا ، بالإضافة إلى أن هذا المؤتمر جذب اهتمام عدد من العلماء المرموقين فى الخارج والولايات المتحدة الأمريكية وهولندا ، أما الباحثون والأطباء المصريون فقد تجاوز عددهم ٤٠٠ من المهتمين بشئون طب السرطان بمختلف المعاهد والجامعات المصرية .

ومن أبرز شخصيات هذا المؤتمر العالم البريطانى الكبير : سير أوليفر سكوت ، المدير السابق لمعهد بحوث السرطان فى الخارج ، وصاحب مدرسة رائدة فى تنظيم البحوث الأساسية ضد السرطان . وقد ألقى هذا العالم الكبير محاضرة عن بحوث مرض السرطان فى بلاد العالم الثالث .

وأكد أنه ليس من الضرورى أن تكون البحوث العلمية مدعمة بأموال كثيرة وأجهزة تكنولوجية معقدة ، إذ أن قوة الملاحظة والخبرة والنظرة إلى المشاكل المحلية نظرة واقعية هى المدخل السليم للبحوث العلمية الجادة ..

وأعطى مثلا لذلك بالعالم العظيم د . دينيس بركت الذى اكتشف نوعا خاصا من مرض الليمفوما – نوع من أمراض الجهاز الليمفاوى – هذا النوع ينتشر فى أواسط أفريقيا ، وقد أجرى بحوثا رائعة على هذا المرض بأقل الإمكانيات التى يمكن تخيلها ، ولذلك عرف هذا المرض باسم مرض بركت نسبة إليه .

وهذا المؤتمر – كما يقول العالم المصرى الدكتور اسماعيل السباعى عضو الاتحاد العالمى للسرطان ورئيس المؤتمر – يمثل تعاونا دوليا بين بعض دول البحر المتوسط والدول الأوربية وبعض دول أمريكا فى حدود سياسة الاتحاد العالمى لمكافحة السرطان ، وكان الهدف الرئيسى للمؤتمر هو حث الحكومات على التركيز على نواحى مكافحة السرطان المختلفة فى البلاد النامية والإكثار من المراكز المتخصصة فى الاكتشاف المبكر والتشخيص والعلاج ، بما فى ذلك الاهتمام بتدريب جميع الفئات المعنية تدريبا كاملا مستمرا ، لأن التقدم يعتمد أولا على قدرات الإنسان ومهارته قبل المبانى الحديثة والأجهزة والأدوات التكنولوجية الدقيقة ..

أما الدكتور شريف عمر أستاذ جراحة السرطان بجامعة القاهرة وسكرتير عام المؤتمر ، فيقول إن الاتحاد العالمى لمكافحة السرطان قد بدأ فى السنوات الأخيرة فى تشجيع عقد المؤتمرات الاقليمية ، وهى مؤتمرات تضم بلادا تقع فى منطقة واحدة تجمعها ظروف بيئية متشابهة إلى حد كبير ، وربما مشاكل متشابهة أيضا . وقد عقد أول تلك المؤتمرات سنة ١٩٧٧ وهو مؤتمر الشرق الأوسط للسرطان وقد ضم هذا المؤتمر المهتمين فى مصر وبعض البلاد العربية بالسرطان وكان بداية لنشاط الاتحاد بمنظمات الشرق الأوسط للسرطان ..

ومؤتمر البحر المتوسط للسرطان يعد بغير شك نموذجا رائعا للمؤتمرات العلمية ، فالعدد الكبير من العلماء والباحثين والأطباء سواء من مصر أو من الخارج الذين شاركوا فى هذا المؤتمر ، يعتبر أكبر تجمع طبى شهدته مؤتمرات مصر عبر السنوات الأخيرة ، ومن ناحية أخرى فإن نسبة حضور جلسات هذا المؤتمر كانت مرتفعة بشكل واضح ، وحرص أغلب الأعضاء على الحضور والمشاركة الجادة فى المناقشات العلمية التى دارت حتى آخر جلسة عقدت ، ومن ناحية ثالثة فقد شارك فيه – لأول مرة – بدور فعال مجموعة من طلاب كلية الطب بالإضافة إلى تقديم ٣٠ مكانا بدون رسم اشتراك لشباب الأطباء ، وأتيح لهم التعرف على مثل هذه المؤتمرات والاحتكاك بالمستوى العالمى فى مجال طب السرطان ..

ثم إن التنظيم الرائع لهذا المؤتمر ، وبراعة الدكتور شريف عمر سكرتير عام المؤتمر فى تنسيق عمل ٢٦ جلسة وندوة على مدى أربعة أيام علامة تستحق أيضا التسجيل والإعجاب . وقد تناولت هذه الجلسات موضوعات وبحوثا عديدة أهمها سرطان الثدى والرأس والرقبة والجهاز الهضمى والبول والتناسل والجهاز الليمفاوى . ولأول مرة فى بلاد العالم النامى تعقد ندوة لمناقشة كفاح جمعيات السرطان ضد المرض ، من المعروف أن جمعيات السرطان تضم نخبة الأطباء عددا آخر من رجال الفكر والفن والإعلام ، الذين يستعطون أن يقدموا جزءا من وقتهم لمساعدة مريض السرطان .

وقد ظهرت من خلال المناقشات العلمية آفاق واسعة للتعاون بين جهات دولية عديدة فى مختلف المجالات أهمها – كما يقول الدكتور اسماعيل السباعى – وبائيات السرطان .. ومسببات السرطان .. وطرق الاكتشاف المبكر والتشخيص الدقيق ، وكذلك التطبيق السليم لوسائل العلاج المعروفة ، ومقارنة نتائج العلاج فى مختلف المراكز والدول ، حيث إن الهدف دائما هو تحسين هذه النتائج ، وقد اتضح كذلك ان نتائج العلاج خصوصا فى الأنواع الشائعة قد تحسنت تحسنا كبيرا ..

وقد خصصت جلسة هامة لمناقشة مسببات السرطان واهتمت بصفة خاصة بأكثر المسببات شيوعا وهى البلهارسيا والتدخين . وكما يقول الدكتور شريف عمر – وهو حاصل على جائزة الدولة التشجيعية فى العلوم هذا العام – إن الأبحاث الحديثة قد أثبتت علاقة أكيدة بين

اكبر تجمع طبى شهدته القاهرة فى السنوات الأخيرة .. اكثر من ٥٠٠ عالم فى طب السرطان تجمعوا لعرض خبراتهم

كان مؤتمر البحر المتوسط للسرطان نموذجا رائعا للمؤتمرات العلمية . فقد استطاع العالم المصرى الذائب الدكتور شريف عمر سكرتير عام المؤتمر أن يسوق عمل ٢٦ جلسة وندوة على مدى أربعة أيام . وقد شارك فى المؤتمر عدد من رجال الإعلام

وتبادل الآراء

سير أوليفر اسكوت

د. شريف عمر سكرتير عام المؤتمر

د. عبد الباسط الأعصر

التدخين وحدوث السرطان – بالإضافة إلى أمراض القلب والدورة الدموية والصدر وغيرها – وكان أول تقرير عن علاقة التدخين بسرطان الرئة قد ظهر فى سنة ١٩٦٢ وذلك فى تقرير جمعية الأطباء الملكية بلندن ، ثم فى تقرير وزارة الصحة الأمريكية عام ١٩٦٤ ، وقد اعتمد التقريران على دراسات إحصائية وأخرى تجريبية أجريت على حيوانات المعامل بالإضافة إلى دراسة الظواهر الباثولوجية التى ظهرت فى مختلف أجزاء جسم الإنسان ؛ وتبين الدراسات الحديثة أن خطر الإصابة بسرطان الرئة يتناسب طرديا مع عدد سجائر المدخن يوميا ، فالذى يدخن ٤٠ سيجارة يوميا معرض ٢٠ مرة للإصابة بسرطان الرئة عن غير المدخن وكلما انخفض السن عن ٢٥ سنة كبداية للتدخين فإن نسبة الخطر تكون فى ازدياد .

ويضيف الدكتور شريف عمر – وهو أيضا مستشار منظمة الصحة العالمية فى التدخين والسرطان – أن الدراسات الإحصائية قررت أن التدخين من أهم مسببات سرطان الحنجرة ، ويزداد احتمال الإصابة لمواقدين التدخين بتناول المشروبات الكحولية أو التعرض لرماد بعض الصناعات . وكذلك سرطان الفم وسرطان المرىء وسرطان الكلية وسرطان البنكرياس .

أما سرطان المثانة فإن احصائيات معهد السرطان بجامعة القاهرة فى الفترة من ١٩٧٠ إلى ١٩٧٥ توضح عدة حقائق أهمها : أن سرطان المثانة الناتج من عدوى البلهارسيا يبلغ نسبته ٢٨ ٪ من جميع حالات السرطانات التى تم تشخيصها فى هذه الفترة ، بينما نسبة سرطان المثانة فى الولايات المتحدة تصل إلى ٣ ٪ فقط ، كما وجد أن نسبة إصابة الرجال بهذا المرض إلى نسبة الإناث تقارب ٥ إلى ١ نتيجة لطبيعة ظروف عمل الفلاح المصرى وتعرضه المستمر فى الحقل إلى عدوى البلهارسيا . كذلك وجد أن الغالبية العظمى من المصابين بهذا المرض هم من طبقة الفلاحين .

أما الدكتور عبد الباسط الأعصر أستاذ كيمياء الخلية بمعهد السرطان جامعة القاهرة والحاصل على جائزة الدولة التشجيعية فى العلوم هذا العام فيؤكد أن التلف الناتج فى أنسجة المثانة نتيجة احتراق بيض دودة البلهارسيا يمكن أن يكون من الأسباب المباشرة للإصابة بالسرطان ، ولكنه ليس السبب الوحيد . حيث إن هذا التلف يخلق حالة من الانقسام المستمر والسريع لهذه الخلايا . وإذا علمنا أن تأثير المواد المسببة للسرطان يتم تأثيرها الفعال على الخلية وتحولها إلى خلية سرطانية أثناء انقسامها فنجد أن الظروف فى هذه الحالة متوافرة لحدوث هذا السرطان بالمثانة ، فمعدل انقسام الخلايا متزايد عن المعدل الطبيعى ، واحتمال وجود مواد مسرطنة – أى تسبب سرطانا – فى بول مريض عدوى البلهارسيا احتمال كبير وقائم نتيجة تلف الكبد وتلوث المثانة بالبكتريا .

ويضيف الدكتور عبد الباسط الأعصر : ومن المعروف أنه توجد فى أماكن معينة بجسم الإنسان أنواع عديدة من البكتريا تقوم هذه البكتريا فى كثير من الأحيان بتحضير العديد من الفيتامينات والأحماض الأمينية اللازمة لبناء خلايا الجسم ، ويعتمد الجسم إلى حد كبير على هذه البكتريا ، ولكن إذا تواجدت هذه البكتريا فى أماكن غير أماكنها الطبيعية فإنها تأتى بتأثير ضار على أعضاء الجسم الموجودة بها ، وبالتالى تؤثر على وظائف الجسم ككل ، ومن أمثلة ذلك تلوث المثانة بالبكتريا نتيجة لعدوى البلهارسيا المذكورة وقد تمت دراسة النشاط البيولوجى للبكتريا فى المثانة وتركزت هذه الدراسة على نوعين اثنين من الأنشطة وهى :

أولا : قدرة هذه البكتريا فى تخليق مواد من مكونات البول يمكن أن تكون مسببة للسرطان .

قدرة هذه البكتريا على إطلاق مواد مسببة للسرطان توجد عادة فى حالة خاملة بفعل انزيمات موجودة بالكبد تقوم بهذه الوظيفة .

وقد تم التوصل إلى النتائج التالية :

– أن حوالى ٦٠ ٪ من أنواع البكتريا التى وجدت بالمثانة نتيجة لعدوى البلهارسيا هى من النوع الذى وجد أن له القدرة على القيام بالأنشطة السابقة بكفاءة عالية .

– أن هذه البكتريا لها القدرة على تخليق مواد مسببة للسرطان من المواد الطبيعية التى يتكون منها البول .

– تم التوصل لمعرفة قدرات هذه البكتريا فى إطلاق مواد مسببة للسرطان من مواد المفروض فيها أن تكون خاملة وذلك عن طريق منعزل أحد الأنزيمات التى تحويها هذه البكتريا . والذى وجد أن له مستوى نشاط عال جدا .

لا جديد فى المؤتمر . . ولكن . . !

وهناك شخصيات علمية – مرموقة على المستوى العالمى شاركت فى هذا المؤتمر ، فبالإضافة إلى رئاسة العالم المصرى الكبير الدكتور اسماعيل السباعى لهذا المؤتمر ، واشتراك العالم البريطانى الكبير سير أوليفر سكوت ، فقد اشترك أيضا د . جون لاكور وكيل معهد السرطان الفرنسى ، وهو أكبر معهد لعلاج ودراسة السرطان فى أوربا كلها ، ورئيس قسم الجراحة وعضو الجمعية الأكاديمية الفرنسية للجراحين . التى تضم نخبة ممتازة من جراحى فرنسا ، واشترك فى المؤتمر كذلك العالم اليونانى ذكتور براين ليسابوس رئيس الجمعية اليونانية للسرطان ومدير معهد السرطان بأثينا ، وكذلك بيتروزيفى رئيس جمعية تأهيل مرضى السرطان بإيطاليا . . وغيرهم . . وغيرهم . .

وبالرغم من كل ذلك فإن المؤتمر لم يكن به جديد من ناحية الاكتشافات الخيرة والباهرة – لوسائل الإعلام – على حد تعبير د . اسماعيل السباعى قبل المؤتمر – بل إنه كان مناسبة لكى يلتقى كبار العلماء فى منطقة البحر المتوسط ويتناقشوا فى هدوء حصيلة خبراتهم وتجاربهم فى جميع مجالات التشخيص والعلاج .

غير أن ذلك لا يعنى عدم حدوث تقدم فى علاج هذا المرض ، بل إن هناك ثلاثة ملايين أمريكى قد شفوا حاليا بعد أن مضى خمس سنوات من انتهاء العلاج ولم يرتد إليهم المرض ، ولم يكن ذلك بفضل التقدم العلمى الذى تحقق ، إنما كان بفضل الدقة والخبرة فى الاكتشاف المبكر والعلاج السليم له ، أى أن مهارة الطبيب هى العامل الأساسى ، وليست الأجهزة والوسائل التكنولوجية الحديثة والمعقدة . . والباهرة أيضا . .

□